

- 49 - رواء البخاري ومسلم وأحمد وابن ماجة. انظر صحيح الجامع الصغير للألباني، ج 4، ص 190.
- 50 - عمر سليمان الأشقر: الرسل والرسالات، ص 54.
- 51 - عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: العقيدة الإسلامية وأصولها، ص 281.
- 52 - م.ن، ص 281-282.
- 53 - محمد قطب: كتاب منهج علم التوحيد، ج 3، ص 41-46.
- 54 - محمد الغزالي: عقيدة المسلم، ص 185.
- 55 - أحمد فائز الحمصي: قصص الرحمن في ظلال القرآن، ج 1، ص 216.
- 56 - محمد متولي الشعراوي: معجزة القرآن، ج 2، ص 299-302 بتصرف وتلخيص.
- 57 - أحمد فائز الحمصي: قصص الرحمن في ظلال القرآن، ج 1، ص 219-220.
- 58 - أبو الأعلى المودودي: مبادئ الإسلام، ص 51-52.
- 59 - أحمد فائز الحمصي: قصص الرحمن في ظلال القرآن، ج 1، ص 297-298.
- 60 - أبو الأعلى المودودي: مبادئ الإسلام، ص 51-52.
- 61 - محمد قطب: كتاب منهج علم التوحيد، ج 3، ص 48-49.
- 62 - سليمان الندوي: الرسالة المحمدية، ص 29 بتصرف يسير.
- 63 - أبو الحسن الندوي: النبوة والأنبياء في ضوء القرآن، ص 29-31.
- 64 - الطيب برغوث: منهج النبي في حماية الدعوة، ص 196-197.
- 65 - فضل حسن عباس: قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، ص 135.
- 66 - عبد الله نعمة: عقيدتنا في الخالق والنبوة والآخرة، ص 273-274.
- 67 - أبو الأعلى المودودي: بر الأمان، ترجمة: خليل أحمد الحامدي. الدار السعودية للنشر - جدة 1404 هـ - 1984 م، ص 23-25 بتصرف.
- 68 - محمد متولي الشعراوي: معجزة القرآن، ج 5، ص 15-18 بتلخيص واختصار.
- 69 - عمر سليمان الأشقر: الرسل والرسالات، ص 29.
- 70 - محمد قطب: لا إله إلا الله عقيدة وشريعة ومنهاج حياة، ص 12-13.
- 71 - مسعود فلوسي: محاضرات في مقاصد الشريعة الإسلامية، ص 127.
- 72 - محمد متولي الشعراوي: معجزة القرآن، ج 3، ص 96 - طبعة شركة الشهاب - الجزائر.
- 73 - محمد الغزالي: نظرات في القرآن، ص 90.
- 74 - محمد قطب: كتاب منهج علم التوحيد، ج 3، ص 49.

رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم


المعهد الوطني للتعليم العالي
للحضارة الإسلامية - وهران

اقتضت حكمة الله، وشاءت ارادته أن يتخذ الإنسان خليفة له في الأرض ليسكنها، ويقوم بعمارتها: «وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أنجز فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون». [البقرة: 30]

فقد سأل الملائكة ربهم عن وجه الحكمة في إثارة آدم بالخلافة في الأرض، وهم المصطفون لعبادته، الدائبون على التسبيح بحمده، والتقديس باسمه. وان هذا المستخلف في الأرض لابد أن يختلف على ما فيها من نعم ويتخاضع على ما فيها من خيرات، فيفسد فيها ويسفك الدماء...؛ ولم «يكن سؤالهم ذلك انكارا لفعله، ولا شكاً في حكمته، ولا تنقصاً لخليفته أو ذريته، لأنهم أولياؤه المقربون وعباده المكرمون، لا يسبقونه بالقول، وهم بأمره يعملون». (1) وأخبر الله تعالى عن وجه الحكمة في ذلك بما تطمئن له القلوب: «إني أعلم ما لا تعلمون» ثم أراد المولى تبارك وتعالى أن يزيدهم بيانا، فبين تعالى لهم من فضل آدم عليه السلام ما لم يكن معلوما لهم، وذلك بأن علم آدم الأسماء كلها ثم عرضها على الملائكة ليظهر كمال فضله وقصورهم عنه في العلم، فيتأكد ذلك الجواب الإجمالي بهذا الجواب التفصيلي: «وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضها على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا: سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم». [البقرة: 31-32]

ويأمر الله تعالى الملائكة أن يسجدوا لآدم، فيستجيبوا للأمر طائعين خاضعين، إلا إبليس، فقد خالف الأمر ورفض الطاعة، مؤثرا الآباء والإستكبار ظنا منه، أنه خير من آدم، فكان من الكافرين: «ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم

قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين. قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصّاعرين» [الأعراف: 11-13]. فكانت أيضا نتيجة الإستكبار عن أمر الله، والإنحياز إلى المعصية، العقاب على المخالفة، فباء باللعنة الأبدية قال تعالى: «قال فآخرة منها فإنك رجيم، وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين» [ص: 77-78]. ويسأل إبليس ربّه أن يمهلّه إلى يوم يبعثون، فيستجيب المولى تبارك وتعالى لسؤاله، محققا له بذلك رغبته: «قال رب أنظرني إلى يوم يبعثون. قال فإنك من المنظرين» [ص: 79-80]. وما دام إبليس قد خسر كل شيء بسبب عصيانه في السجود لهذا الأدمي، فلا بد أن يترصد لغوايته وأن يعمل جاهدا في اضلال وفساد ذريته، وأن يعمل أيضا بكل مافي وسعه ان يكون في جميع الجهات قاعدا لهم في صراط الله المستقيم: «قال فبما اغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم. ثم لأتيّنهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم ولا أجد أكثرهم شاكرين. قال اخرج منها مذوّوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين» [الأعراف: 16-18]. وكانت فتنة إبليس وغوايته، فيبدأ بأبينا آدم، فما لبث في الجنة حتى ابتلي بالتكليف وامتنحن بفتنة الغواية، فأصغى إلى وسوسة إبليس ونسي عهد ربه، ثم ندم فتاب الله عليه: «قلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى. إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى. وأنك لا تظمأ فيها ولا تضج. فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى. فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخضفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى. ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى» [طه: 117-123]. ومن أبناء آدم، يبدأ الصراع بين الخير والشر على هذه المعمورة «وتحقق ما توقعت الملائكة من افساد فيها وسفك للدماء. (2) فبالاثرة والحد والحسد. يقتل قابيل أخاه هابيل، ويصبح من الخاسرين» «فطووعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين» [المائدة: 30] ان قصة قابيل وأخيه هابيل، لتعطي - من البدء - صورة واضحة عن الطبيعة البشرية، وما جبلت عليه

من استعداد للخير والشر، والطاعة والمعصية، والهدى والضلال، وتؤكد أيضا وعد الشيطان بالغواية والوسوسة، ولذلك ما كان الله بمفرط في ذرية آدم - عليه السلام -، فقد بعث فيهم من الأنبياء والرسل، اختارهم من صفوتهم واصطفاهم من أخيرهم دعاة لوحداية الله وعدم الشرك به، داعين الناس إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فبعث من الأنبياء والرسل على سبيل المثال لا الحصر، النبي نوح إلى قومه يدعوهم إلى الإيمان بوحداية الله، ويرغبهم في ثواب يلاقونه فلم يأبهوا لقوله ولم يذعنوا لنصحه، واندبرهم بالعقاب، فزادهم ذلك نفورا وفتورا وأنزل الله بمن كفر به من العذاب. فاغرقهم بالطوفان.

وبعث بالنبي إبراهيم - عليه السلام - يحذر قومه من عبادة الأوثان وعدم الشرك به، ملفتا أيهم إلى بادر الكون وخالقه علمهم يتفكرون فحذرهم من عذاب الله وعقابه الشديد فلم يزداهم ذلك الا إنكارا واجمعوا على حرقه بالنار، واقتضت حكمة الله ان تكون بردا وسلاما: «قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم» [الأنبياء: 69]. ولم يؤمن به إلا نفر قليل كاتمين إيمانهم خوفا وحذرا من أذى الكافرين.

وأرسل الله موسى إلى بني اسرائيل وكان فرعون وأعوانه يحكمون القبط وبني اسرائيل، يفسدون في الأرض ظلما واستكبارا، ويتخذون في نفوسهم أربابا، قال تعالى: «إذهب انت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكرى. اذهب إلى فرعون انه طغى» [طه: 42-43]. ولم تجد دعوة موسى في نفس فرعون إلا الإستهانة والإستكبار، وعلى الرغم من معجزة موسى المتمثلة في العصى التي جعلت السحرة يتبينون الرشد من الضلال والحق من الباطل فيخرون لله ساجدين، إلا أن ذلك لم يزد فرعون إلا عنادا، وتوعدهم بالويل والثبور وعظائم الأمور فيأخذه الله واتباعه ويرميهم في اليم، وتلك عاقبة الظالمين: «فاخذناه وجنوده فبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين». [القصاص: 40]

وارسل عيسى - عليه السلام - أيضا إلى بني اسرائيل يؤذن في الناس داعيا إلى الإيمان ساعيا في رد اليهود عن الزيغ والضلال، محاولا أن يخرجهم

من الظلمات إلى النور فكثير بذلك اتباعه وانصاره وشعر رجال الدين بأن التيار يوشك ان يحرقهم فاجمعوا عن مناوآته أينما حل، وتكذيبه ايان ذهب ولما فشلوا في ذلك ورأوا أن الأمر بدأ يفلت من أيديهم اجمعوا على قتله: «وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه، ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا، بل رفعه الله إليه، وكان الله عزيزا حكيما». [النساء: 157-158]

ويختتم الله أنبياءه ورسله بالمصطفى الحبيب محمد ﷺ، محملا إياه رسالة الإسلام للناس أجمعين، ويبعثه في أمة وصفت في قوله تعالى: «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله» [آل عمران: 110] وهي لذلك خير من غيرها من الأمم ومن قوم موسى لقيام جماعة منهم فقط بهذه الفضيلة. «ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون» [الأعراف: 159]. وعلى ذلك يطالب القرآن بالمحافظة على هذه الفضيلة: «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون» [آل عمران: 104]. إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فضيلة من الفضائل السامية التي يحاول المسلم أن يكمل بما غيره بعد أن يكون قد كمل في نفسه. (3) وهي أيضا فضيلة، تؤكد إثارة تعالى للإنسان في إستخلافه، لينفذ مراده الإلهي على الأرض متمثلا في أوامره ونواهيه، وهو المعنى الذي أكدده الرسول ﷺ في قوله: «من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في الأرض». (4)

مفهوم المعروف والمنكر والأصل في وجوبهما:

المعروف: أصله عرف: تدل مادته على الظهور والإرتفاع وانتشار الرائحة الطيبة، وما كان كذلك فهو معروف مأنوس غير مجهول، والمعروف هو ما عرفت العقول السليمة وأنست إليه الطباع المستقيمة، وهو أيضا كل قول أو فعل ينبغي قوله أو فعله طبقا لنصوص الشريعة الإسلامية ومبادئها العامة وروحها كالتخلق بالأخلاق الفاضلة (5) فهو إذن لفظ يعم أعمال البر كلها أو كل

ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى الناس (6) جاء في الحديث «كل معترف صدقه».

والمنكر: أصله نكر، تدل مادته على الجهل والصعوبة والقبح والنفور وكراهية النفوس يقال: أنكره أي جهله وأنكر فلان كذا أي كرهه فلم يقره. والمنكر، القبيح الباطل المؤدي إلى السوء وهو ضد المعروف، يعرفه الأصفيهاني بأنه كل فعل تحكم العقول الصحيحة بقبحه أو تتوقف في استقباحه واستحسنائه العقول فتحكم بقبحه الشرعية، (7) ويعرفه بعض الفقيهاء بأنه اسم جامع لكل منا يكرهه الله وينهى عنه، (8) ويقبول آخر: أن بأنه كل محذور الوقوع في المنكر. (9) والأمر بالمعروف قد يكون قبولاً محضاً كالندوة إلى الخير، وقد يكون صملاً محضاً كالفعل الخير، والأول كالندوة إلى التبرع، أو الاستنفار والثاني كالتقيام بهما، وقد يكون بالفعل والعمل كالندوة إلى الاستنفار والإنضمام إلى صفوف المتطوعين معاً، وكذا النهي عن المنكر قد يكون قبولاً محضاً كالنهي عن شرب الخمر، مثلاً، وقد يكون صملاً محضاً كإزالة الخمر أو منع شاربها ممن شرب بها، والنهي عن المنكر بالقول نهى عن المنكر، وبالفعل تغيير المنكر، فالأمر بالمعروف إذا هو الترغيب هيمناً، ينبغي عمله أو قوله طبقاً للشرعية والنهي عن المنكر هو الترغيب في ترك ما ينبغي تركه أو تغيير ما ينبغي تركه طبقاً للشرعية. (10)

الأصل الثاني: وجوبه بها:

قال بعض أهل العلم إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية، إذا قام به البعض سقط عن الباقين، لأن التكليف موجه "إلى الجماعة" لا إلى الجميع. فالندوة إلى الخير يمكن أن يقوم بها أي إنسان وهي مرغوبة ومشاعة، أما معارضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيطلب إلزاماً واستعماً لا للثبوت ولا يقوم به إلا صاحب السلطة (أي الدولة وموظفوها) وحجتهم في ذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يمكن أن يقوم به إلا من هو أهل له، فلا يحق للجاهل مثلاً أن يمارسه وإلا صمت الفوضى، ولكن إذا أمكن ممارسته باللسان

دون مشقة أو ضرر فلا بأس⁽¹¹⁾ وقال البعض الآخر إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض عين، بإمكان كل مسلم أن يباشره قدر طاقته واستطاعته. وحجتهم في ذلك أن وجوبه جاء بالنص الذي صيغ بعبارة الأمر وهذا يوجب بالتالي استعمال القوة إذا لم ينفع البيان باللسان⁽¹²⁾ ولعل سبب هذا الخلاف مرجعه الأمور السياسية وقد أفاض الحديث فيه المتكلمون. أما حقيقتهما في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على كل مسلم ومسلمة. ففي القرآن الكريم يتبدى ذلك من خلال دلالة الخطاب الشمولية التي رامت إلزامية القيام برسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على أنها من واجبات الأمة الإسلامية عامة قال تعالى: «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون» [آل عمران: 110]. مما يؤكد أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض عين على كل مؤمن ومؤمنة قال تعالى: «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم». [التوبة: 71]

وأما في الحديث الشريف فإننا نجده صلى الله عليه وسلم يأمرنا بالعمل بهذه الفضيلة في أكثر من حديث: فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «مر بالمعروف وأنه عن المنكر وأصبر على ما أصابك». (13)

وقوله صلى الله عليه وسلم: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وهذا أضعف الإيمان» (14) وقوله صلى الله عليه وسلم: «لا ينبغي لامرئ أن يشهد مقاما فيه حق إلا تكلم به، فإنه لن يقدم أجله ولن يحرم رزقا هو له». (15)

ومهما يكن من أمر، فإن كل إنسان مدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في نطاق الصلاحيات المعطاة له ضمن حدود الشريعة الإسلامية.

فضائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن المتتبع لهذه الفضيلة السماوية في القرآن الكريم، لا مندوحة من أن يتبين مدى الترابط بين طرفيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا يكاد يذكر واحد منهما حتى يأتي الثاني في ركابه، على الرغم من تعدد مواطن الذكر وتنوع الموضوعات. فقد ذكر الأمر بالمعروف مقرونا بالنهي عن المنكر في تسع آيات، في سورة آل عمران ثلاث مرات، وفي سورة الأعراف مرة واحدة، وفي سورة التوبة ثلاث مرات، وفي سورة الحج مرة واحدة، وفي سورة لقمان مرة واحدة. وذكر لفظ "معروف" ثمان وعشرون مرة وجاءت معانيه كلها حول البر والخير والرحمة.

وذكر لفظ "المنكر" بصيغ ثلاث:

1- المنكر: ست مرات.

2- منكرا: مرة واحدة.

3- منكرون: مرتان.

ولم تخرج معانيها عن كل ما يكرهه الله وينهى عنه.

وهذا التكرار لهذه الفضيلة في القرآن إنما يريد الله سبحانه وتعالى أن يؤكد لها ويقررها في نفوس عباده المؤمنين. فأحيانا يقرر سبحانه وتعالى أن هذه الفضيلة إحدى صفات هذه الأمة المكرمة بالخيرية لذلك فهي مسؤولة عن القيام والعمل بهذه الرسالة: «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر» [آل عمران: 110]. وعن النبي ﷺ: «من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر كان خليفة الله في الأرض وخليفة رسول الله وخليفة كتابه». (16) وهذه الفضيلة من صفات المفلحين الفائزين برضاء ربهم في الدنيا والآخرة قال تعالى: «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون» [آل عمران: 104]. وهي صفة من صفات المؤمنين الصادقين المنصوريين من الله المفضلين بنعمة التمكين في الأرض يأمرون بالمعروف وينهون الصلاة والسلام: «يأيها الناس إن الله يقول لكم مررا بالمعروف وانهاوا

عن المنكر قبل أن تدعوا فلا أجيب لكم وتسالوني فلا أعطيكم وتستنصروني فلا أنصركم، فما زاد عليهن حتى نزل». (17)

تعميم العقاب:

لقد شدد الرسول المصطفى على هذه الفضيلة، حتى أنه أخرج من أمته كل من لا يعمل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال: «ليس منا من لم يأمر بالمعروف وينه عن المنكر». (18) وهي أمور فصل فيها أهل العقيدة والشريعة الإسلامية.

وقد روي عن أبي بكر - رضي الله عنه - أنه قال: «أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية وتقولونها على خلاف تأويلها»: «يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا إهتديتم». [المائدة: 105]

إنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل إلا يوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده». (19)

ولنا في أصحاب السبب عبرة حيث أنجا الله فرقة الناهين عن المنكر قال تعالى: «فلما نسوا ما ذكروا به أنجيناهم الذين ينهاون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون». [الأعراف: 165]

تعميم البلاء:

إن الأمة التي يوكل إليها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتترك أوامر الله ونواهيه، لابد أن يعمها الله تعالى ببلائه وبمحنته ومصائبه المختلفة، فقد روي عنه ﷺ أنه قال: «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعوا خياركم فلا يستجاب لكم». (20)

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: «قال رسول الله ﷺ يا أيها الناس مروا بالمعروف وأنهوا عن المنكر قبل أن تدعوا الله فلا يستجب لكم، وقبل أن تستغفروه فلا يغفر لكم إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يدفع

رزقا ولا يقرب أجلا وإن أحبارا من اليهود والرهبان من النصارى لما تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعنهم الله على لسان أنبيائهم، ثم عموا بالبلاء». (21)

ومن مخاطر ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما ذكرها أهل الاختصاص، إسوداد القلب والهلاك وغيرهما أكدها القرآن الكريم وفصلت فيها السنة النبوية.

شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

حفاظا ودفاعا على رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وضع علماء الإسلام شروطا ومقاييس للعمل بهذه الفضيلة السامية، ومتى توافرت هذه الشروط أوجب على المسلمين أن يقوموا بها، ومنها:

1- التكليف: وهو شرط أساسي لأهميته في هذا الباب، لأن غير المكلف كما يقول صاحب الإحياء لا يلزمه أمر، إذ لا يعقل أن يكون المجنون أو الصبي أو الكافر أو العاجز من المكلفين في هذا الباب، والإمام الغزالي يستثني من ذلك الصبي المراهق البالغ لمرحلة التمييز إذ يقول: «وإن لم يكن مكلفا فله إنكار المنكر... وإذا فعل ذلك نال به ثوابا، ولم يكن لأحد منعه من حيث إنه ليس بمكلف». (22) ولعل هذا الاستثناء مرجعه تربية أبناء الأمة الإسلامية وتمرينهم على هذا الأمر - وفي هذه السن المبكرة بالذات - لحملهم في المستقبل - مسؤولية ما هو أعظم وأشد في أمور الدين والدنيا.

2- الإيمان: واشتروطوا في الأمر بالمعروف الركن الأول في الإسلام وهو الإيمان لأن في ذلك نصرة للدين إذ لا يعقل أن يقوم بهذه الفضيلة من هو جاحد لأصل الدين وعدو له. (23)

3- الالتزام: يختلف العلماء في مسألة الالتزام لمن يتصدى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فذهب بعضهم إلى شرطه لقوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون»

[الصف: 2-3]. وبما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقباب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى فيجتمع إليه أهل النار فيقولون يا فلان مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى كنت أمر بالمعروف ولا أتيه وأنهى عن المنكر وأتيه». (24) واستدلوا في ذلك من طريق القياس، بأن هداية الغير فرع للإهداء، وتقويم الغير فرع للإستقامة. والإصلاح زكاة نصاب الصلاح، فمن ليس بصالح لا يصلح غيره وامتى يستقيم الظل والعود أعوج. (25) قال تعالى: «**اتّاهرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم**» [البقرة: 44]. وذهب البعض الآخر إلى عدم إشتراط ذلك لعموم قوله تعالى: «**والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الدين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**» [العصر: 1-3]. وكان معاوية يقول: «أيها الناس لا يمنعكم سوء ما تعلمون عنا أن تعملوا بأحسن ما تسمعون منا». وورد عن السلف مروا بالخير وإن لم تفعلوا. وقد تساءل الغزالي عن المنكرين لشارب الخمر في مشاركته لغزو الكفار فقال: «خرقوا الإجماع، إذ جنود المسلمين لم تزل مشتملة على البر والفاجر، وشارب الخمر، وظالم الأيتام ولم يمنعوا من الغزو لا في عصر رسول الله ﷺ ولا بعده». (26) وحجة هؤلاء أن المكلف مأمور بشيئين: أحدهما ترك المعصية والثاني منع الغير عن فعل المعصية والإخلال بأحد التكليفين لا يقتضي الإخلال بالآخر، والأصل في ذلك أن الفاسق يفسق بإتيان المعاصي أي بإتيانه المحرمات وترك الواجبات فإذا حرم على الفاسق أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، كان معنى ذلك أن ترك الواجب يسقط غيره من الواجبات. (27) ومن الغريب أن يصير الواجب حراما بسبب إرتكاب حرام آخر. (28)

4- الرخصة: ونقصد بها أخذ الإذن من الإمام وغيره، وهو اشتراط أفسده بعض العلماء المستنديين في ذلك على الآيات والأحاديث التي تؤكد عصيان كل من رأى منكرا وسكت عليه. لأنه إذا كان من الواجب أمر الإمام بالمعروف ونهيه عن المنكر فكيف يحتاج إذن لتأدية الواجب. (29)

ويدل على ذلك عادة السلف في الإنكار على الأئمة، كما روي أن مروان بن الحكم خطب قبل صلاة العيد، فقال له رجل: «إنما الخطبة بعد الصلاة فقال مروان أترك ذلك يا فلان، فقال أبو سعيد: أما هذا فقد قضى ما عليه، قال لنا رسول الله ﷺ: من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان». فلقد فهموا من هذه العمومات دخول الأئمة وأهل الحل والعقد والسلاطين فكيف يحتاج إلى إذنهم.

5- القدرة: كل مؤمن محب لله ولرسوله يكره معاصيه وينكرها فإذا كان قادراً أنكرها بلسانه ويده، وإذا كان عاجزاً غير قادر أنكرها بقلبه وذلك أضعف الإيمان، ويربط الإمام الغزالي العجز عن أداء هذه الفضيلة بما يلحق صاحبها من أضرار حتى وإن لم يخف مما يصيبه ربط إنكاره أيضاً بعدم الإفادة وبين المعنيين في حالات:

الأولى: أن يجتمع الخوف من المكروه بعدم إيفاده الإنكار إمتناعاً، ذلك إن علم الناهي عن المنكر بعدم إيفاده كلامه وضربه إن تكلم فلا يجب عليه النهي، بل ربما يحرم عليه في مواضع.

الثانية: أن يعرف أنه لا يصيبه مكروه في مواضع معينة، لكنه يعلم أن إنكاره لا يفيد ولا ينفع، فالنهى ههنا لا يجب عليه، ولكن يستحب لتبيان شعائر الإسلام وتذكير الناس وتنبيههم بأمر دينهم.

الثالثة: أن يختفي المعنيان معاً، بأن يعرف أن المنكر يزول بقوله وفعله ولا يقدر له على مكروه، فيجب عليه الإنكار وهذه هي القدرة المطلقة.

الرابعة: أن يعرف أنه يصاب بأضرار ولكنه يستطيع إبطال المنكر بفعله، كأن يريق الخمر أو يكسر العود، ولكن يعرف بأنه يصاب بأذى، فنهيه هنا ليس بواجب وليس بحرام، بل هو مستحب لإظهار شريعة الرحمان.

والذي يستخلصه الباحث من هذه الحالات التي أوردها الإمام الغزالي أن النهي عن المنكر مرتبط بمدى قدرة الناهي وعجزه، فإذا كان قادراً لا يخشى ضرراً وجب عليه أما إذا كان عاجزاً عن بلوغ النفع والإفادة أو أن يصاب بمكروه

سقط عنه التكليف، ولكن في كلا الحالتين يستحب أن ينهى عن المنكر حتى لا تتعطل هذه الفريضة. (30) ولعل الإستطاعة التي أكد عليها الغزالي في هذه الحالات، مرجعها إلى الخلاف النامشئ من خلاف المفسرين حول معنى كلمة (من) في قوله تعالى: «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون» [آل عمران: 104]. فخلافتهم المذكور هل هي للبيان فيكون فرض عين أم للتبعيض فيكون فرض كفاية. (31) يرجح البعض أنها للبيان والفرض فرض عين، حيث لم يشترط فيها الإستطاعة كالحج لأنها مستطاعة دائما بدرجاتها المختلفة وشروطها التي ذكرها العلماء والله أعلم.

مراتب النهي عن المنكر ومراحله:

أولاً - مراتب النهي على المنكر:

تبياناً لكيفية ممارسة فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جاء الحديث الشريف موضحاً مراتبها حسب الظروف والأحوال قال رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان». (32)

أ - تغيير المنكر باليد: يقصد باليد ههنا القوة والإستطاعة، لذلك رأى بعض العلماء أن تغيير المنكر باليد من إختصاصات أولي أمور المسلمين لما لهم من القوة والسلطان والصلاحيات في إخضاع الرعية لتوجيهاتهم وإرشاداتهم وأوامرهم. (33)

ب - تغيير المنكر باللسان: وهو المرتبة الثانية من مراتب التغيير، فإذا لم يكن الناهي عن المنكر غير مكلف ولم يقدر على ممارسة القوة فعليه بالقول والكلام ويرى بعض العلماء أن هذه المرتبة من إختصاصات أهل العلم والنصح والموعظة. (34)

ج - تغيير المنكر بالقلب: وهو المرتبة الثالثة والأخيرة، تجب على كل مسلم لا يملك القدرة على التغيير ولا القدرة على النصح والوعظ والإرشاد.

ثانياً: مراحل النهي عن المنكر:

وللنهي عن المنكر مراحل لعل أهمها:

1- **التنبيه والتعريف:** إن الإنسان لا يولد عالماً فقد يقدم على منكر بجهل وعدم دراية، فإن عرفه تركه، لذلك يتلطف في التنبيه بالمنكر ليحصل التعريف من غير إيذاء، لأن التعريف كشف للعورة، مؤذي للقلب، فلا بد أن يعالج دفع أذاه بلطف الرفق. (35)

2- **الوعظ والنصح:** ويدخل في هذا الباب من يقدم على المنكر وهو عالم بأنه منكر، فينبغي على العلماء أن يعظوه ويخيفوا بالله تعالى عن طريق إعلامه بالأخبار الواردة بالوعيد في ذلك وتحكى له سيرة السلف الصالح، وعبادة المتقين. (36)

3- **التهديد والتخويف:** وهي مرحلة تأتي بعد التنبيه والنصح والإرشاد يهدد فيها المقدم على المنكر بالعقاب المحدد في الشريعة الذي حدده العلماء وذلك قصد تخويفه وترعيبه لينثنى عن فعله ويثوب إلى رشده. (37)

4- **التغيير باليد:** ويختص بالقادر دون أن يترتب على كل ذلك ضرر أكبر من المنكر المنهى عنه أو مساو له، وفي هذا الإتجاه يحصر ابن القيم انكار المنكر في أربع درجات:

الأولى: أن يزول ويخلفه ضده.

الثانية: أن يقل وان لم يزل من جملته.

الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله.

الرابعة: أن يخلفه ما هو شر منه.

والدرجتان الأولى والثانية مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد والرابعة محرمة. (38)

وصفوة القول فإن الإسلام لا يعتبر الإنسان كاملاً إذا كمل في نفسه فحسب، بل لابد أن يكمل غيره عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيسعى إلى تكميل الناقصين بإرشادهم إلى ما ينبغي وهو الأمر بالمعروف أو يمنعه عما لا ينبغي وهو النهي عن المنكر. (41) وإن يكون صاحب هذه الفضيلة ذا علم ودراية بما يأمر به وينهى عنه، فيعرف الدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وذلك حتى لا يأمر بجهل أو ينهى بطيش قال تعالى: «ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً». [الإسراء: 36]

الهوامش والمصادر والمراجع

- 1- قصص القرآن - تأليف محمد أحمد جاد المولى وآخرون، ص 5 وما بعدها.
- 2 - الشخصية الإسلامية: الدكتورة عائشة عبد الرحمن، ص 47.
- 3 - الأخلاق دراسة فلسفية ودينية، ص 272 وما بعدها.
- 4 - أنظر العقل والسلوك في البنية الإسلامية مطبعة الجنوب - تونس 1980.
- 5 - عبد القادر عوده التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي 492/1 الطبعة الثانية مؤسسة الرسالة (د.ت).
- 6 - الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، الأستاذ عبد العزيز المحمد السلطان، ص 319 المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الرغبة 1988 الجزائر.
- 7 - أخلاق القرآن 32، ص 220 أنظر الأخلاق دراسة فلسفية ودينية: الهامش، ص 272.
- 8 - الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، ص 319.
- 9 - أنظر التشريع الجنائي 492/1.
- 10 - أنظر الأخلاق دراسة فلسفية ودينية، ص 273، د/ عبد الفتاح أحمد الفاوي ط 1 - مطبعة الجبلابي 1990م.
- 11 - مع القرآن في الدين والدينا، د/ هشام قيلان، ص 134 وأنظر الأسئلة والأجوبة الأصول، ص 319 - 320.
- 12 - المرجع نفسه، ص 134. وانظر شرح المقاصد للإمام التنتزاني، ص 171 وما بعدها، تحقيق عبد الرحمن عميرة، ت، دار عالم الكتب ط 1 - بيروت 1989.
- 13 - رواه الإمام أحمد في مسنده ج 4: 299 وفيه زيادة «فإن لم تطق ذلك فكف لمسالك

«إلا من الخير».

- 14 - رواه مسلم والترمذي وابن ماجه والنسائي.
- 15 - حديث أخرجه البيهقي ورواه الترمذي وحسنه، وابن ماجه في حديث أبي سعد: «لا يمنعن رجلا هيبتة الناس ان يقول الحق إذا علمه».
- 16 - إحياء علوم الدين للغزالي ج 5، ص 1186 للإمام أبي حامد الغزالي - دار الشعب - القاهرة (د.ت). وانظر مع القرآن في الدين والدنيا، ص 133.
- 17 - رواه ابن ماجه وابن حبان - الترغيب والترهيب - ج 3، ص 232. وانظر أضواء على المعروف والنهي عن المنكر، ص 17.
- 18 - أنظر الأخلاق: د/ الفاوي، ص 275.
- 19 - أنظر الأخلاق: د/ عبد الفتاح الفاوي، ص 275.
- 20 - رواه الأصبهاني، الترغيب والترهيب، ج 3، ص 230.
- 21 - أنظر الأحياء، ج 5، ص 1189.
- 22 - الأحياء: ج 5، ص 1196.
- 23 - الأحياء: ج 5، ص 1197.
- 24 - رواه البخاري ومسلم رياض الصالحين، ص 109.
- 25 - الأحياء: ج 5، ص 1197.
- 26 - الأحياء: ج 5، ص 1198.
- 27 - الأخلاق، د/ عبد الفتاح الفاوي، ص 278.
- 28 - الأحياء: ج 5، ص 1199.
- 29 - أنظر الأحياء: ج 5، ص 1201 - 1203.
- 30 - أنظر الأحياء: ج 5، ص 1208 وبعدها.
- 31 - أنظر تفسير الرازي: 19/3، والكشاف للزمخشري 319/1، وأحكام القرآن 115/4، وأحكام القرآن للجصاص 29/2.
- 32 - أنظر الترغيب والترهيب، ج 3/223.
- 33 - أضواء على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تأليف عبدو غالب أحمد عيسى، ص 29 - دار ابن زيدون - بيروت، الطبعة الأولى (د.ت). وانظر الأخلاق: ص 272 - 272.
- 34 - أنظر الأخلاق: ص 279.
- 35 - الأحياء: ج 5/1227. وانظر الأخلاق: ص 279.
- 36 - الأحياء: ج 5/1228.
- 37 - الأحياء: ج 5/1232.
- 38 - الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، ص 321.